الباب الثالث

الألفاظ الدالة على معنى العذاب

استعمل القرآن الألفاظ المتنوعة فى التعبير عن العذاب، منها الألفاظ الأصلية ومنها الألفاظ المتقاربة معناه. وسيأتي بحثه:

الفصل الأول: الألفاظ الأصلية التى تضمن على معنى العذاب

المبحث الأول: العذاب

المطلب الأول: معنى العذاب

قال الراغب الأصفهاني: واختلف في أصله فقال بعضهم هو من قولهم عذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان أن يعذب أي يجوع ويسهر، وقيل أصله من العذب فعذبته أي أزلت عذب حياته على بناء مرضته وقذيته، وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفها، وقد قال بعض أهل اللغة: التعذيب هو الضرب، وقيل هو من قولهم ماء عذب إذا كان فيه قذى وكدر فيكون عذبته.[1]

[1] الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. ص 327

ذكر لفظ العذب ثلثمائة وسبعين مرة على شكل متنوع.[2] كله عني إلى معنى العقوبة إلا فى موضعين: الأول (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)[3]. والثاني (وما يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[4]. العذب فى هاتين الآيتين معناهما ماء طيب.

و أما العذاب الذي يأتي معناه للدلالة على العقوبة يتضمن أيضا على معنى اللغوي وهو جعل شيء عذب أي كالماء الطيب لأن المعذّب يعتبر كالكدر. وكان الله يعذب قوما بأسباب كثيرة:

1. الكفر، ومن الآيات الدالة على هذا مثل قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.[5] هذه الآية تتكلم عن الذين يكفرون برسالة عيسى عليه السلام. وفى قول تعالى: مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.[6] والعذاب المدلول فى هذه الآية لمن كفر

[2] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 450
[3] سورة الفرقان: 53
[4] سورة فاطر: 12
[5] سورة ال عمران: 56
[6] سورة ال عمران: 4

بالكتب المنزلة على رسله كما قال البيضاوي.[7] وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.[8] والآيات الأخر.[9]

2. النفاق، أعد الله المنافقين العذاب مثل قوله: وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ.[10] وقوله: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ.[11]

3. الظلم، قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا.[12] وقال: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[13]

4. شاقوا الله ورسله، كقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.[14] إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

---

[7] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 148

[8] سورة الشورى: 26

[9] انظر إلى سورة (البقرة: 85) (ال عمران: 56، 91، 176، 178) (الانعام: 30) (النساء: 36، 37، 56، 73) (التوبة: 90) (الفتح: 25) (الاحزاب: 8) (الاسراء: 10) (ابراهيم: 2) (النحل: 88، 102) (الحج: 25، 57) (الرعد: 34) (العنكبوت: 23) (فصلت: 5، 67) (المجادلة: 4) وغير ذلك.

[10] سورة التوبة: 68

[11] سورة التوبة: 101

[12] سورة الكهف: 87

[13] سورة الشورى: 21

[14] سورة الحشر: 4

يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[15]

5. الفر من الجهاد، وهذا ما دل إليه قوله: إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.[16]

6. تكذيب الأنبياء، وكثير من الأمم السابقة لا يؤمنون بأنبيائهم، بل هم يقتلونهم قال تعالى: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.[17] وقوله: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ.[18]

7. الكتمان بما أنزل الله إليه أو الكتمان بالحق، يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم، مما تشهد له بالرسالة والنبوة.[19] إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ

---

[15] سورة المائدة: 33

[16] سورة التوبة: 39

[17] سورة ال عمران: 181

[18] سورة النساء: 14

[19] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 1. ص 437

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ.[20]

8. المنع عن سبيل الله، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[21] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.[22]

9. من اشترى الحق، إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[23] فسر المراغي بقوله: أي إن الذين يستبدلون بعهد الله إلى الناس في كتبه المنزلة بأن يلتزموا الصدق والوفاء بما يتعاهدون عليه ويتعاقدون، وأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ويتقوه في جميع الأمور وبما حلفوا عليه من قولهم: لنؤمنّ به ولننصرنّه، وثمنا

[20] سورة البقرة: 173-174
[21] سورة البقرة: 114
[22] سورة التوبة: 34
[23] سورة ال عمران: 77

قليلا هو العوض أو الرّشا.[24] وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[25]

المطلب الثاني: طبيعة العذاب

وأما طبيعته أن العذاب قد وقع فى الدنيا وكذلك وقع في الآخرة، هذا من قول الله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.[26] قال ابن كثير: حكى القرآن فى هذه الآية قوم الذي كفر بالمسيح من اليهود، عَذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخْذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عَذابُهم أشد وأشق.[27] وقال الطبري أن عذابه في الدنيا بالقتل والسباء والذلة والمسكنة.[28] وأيد قوله: وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.[29]

---

[24] المراغي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ج 3. ص 191

[25] سورة ال عمران: 177

[26] سورة ال عمران: 56

[27] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 1. 347

[28] الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 3. ص 292

[29] سورة التوبة: 74

ولذلك سمى القرآن الحدود بالعذاب عندما أمر الله أن يظهر إليها الناس حدود الزاني والزانية: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.[30]

من هذه الآية نعرف أيضا أن منفّذ العذاب ليس مما استأثره الله، بل الناس يستطيع أن يعذّب بعضه بعضا، وأيّد قول تعالى فى قصة فرعون الذي يذبحون الصبي أنه سوء العذاب: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ ابناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ.[31]

المطلب الثالث: صفة العذاب واستعمال لفظه

وأما صفة العذاب هي محذرة. يحذر كل أحد من الملك مقرب ونبي فضلا عن غيرهم[32] وحتى الملائكة[33]. هذا من قول الله: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا.[34] لأن وجود العذاب هو أليم[35] وشديد[36] وعظيم[37] وغليظ[38] ومهين[39] ومقيم[40] وواصب.[41]

---

[30]سورة النور: 2

[31]سورة البقرة: 49

[32]الزمخسري. *المرجع السابق*. مجلد 1. 575

[33]انظر البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 2. ص 647 وانظر المراغي. *المرجع السابق*. مجلد 5. ص 64

[34]سورة الإسراء: 57

[35]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب أليم مثل: (البقرة: 10، 104، 174، 178) (ال عمران: 77، 91، 177، 188) (المائدة: 36، 73، 94) (الأعراف: 73) (التوبة: 61، 79، 90) (هود: 48) (يوسف: 25) (إبراهيم: 22) (النحل: 63، 104، 117) (الحج: 25) (النور: 19، 63) (العنكبوت: 23) (يس: 18) (الشوري: 21، 42) (الدخان: 11) (الأحقاف:

واستعمال لفظ العذاب فى التهديد من فعل بالكبائر مثل الكفر والنفاق والظلم والفر من الجهاد وتكذيب الأنبياء والكتم بالحق وغير ذلك، وأنه ذكر عذابا فى الدنيا والآخرة

المبحث الثاني: العقاب

المطلب الأول: معنى العقاب

قال فى لسان العرب: عَقِبُ كُلِّ شيءٍ وعَقْبُه وعاقِبتُه وعاقِبُه وعُقْبَتُه وعُقْباهُ وعُقْبانُه آخِرُه. وقيل عَقَبَ فلانٌ على فلانة إِذا تزوّجها بعد زوجها الأَوَّل فهو عاقِبٌ لها أَي آخِرُ أَزواجها.[42]

وقال الراغب الأصفهاني: العقب مؤخر الرجل، وقيل عقب وجمعه أعقاب، والعقب والعقبى يختصان بالثواب نحو (خير ثوابا وخير عقبا[43]) وقال تعالى: (أولئك لهم عقبى

24، 31) (المجادلة: 4) (الحشر: 15) (الصف: 10) (التغابن: 5) (الملك: 28) (نوح: 1) والذي فيه كلمة العذاب الأليم مثل: (يونس: 88، 97) (الحجر: 50) (الشعراء: 201) (الصافات: 38) (الذاريات: 37)

[36]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب شديد مثل: (ال عمران: 4) (إبراهيم: 2) (المؤمنون: 77) (سبأ: 46) (فاطر: 7، 10) (ص: 26) (الشوري: 16، 26) (الحديد: 20) انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة العذاب الشديد مثل: (يونس: 70) (ق: 26)

[37]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب عظيم مثل: (البقرة: 7، 114) (ال عمران: 105، 176) (المائدة: 33، 41) (الأنفال: 68) (التوبة: 101) (النحل: 94، 106) (النور: 11، 14، 23) (الجاثية: 10)

[38]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب غليظ مثل: (هود: 58) (إبراهيم: 17) (لقمان: 24) (فصلت: 50)

[39]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب مهين مثل: (البقرة: 90) (ال عمران: 178) (لنساء: 14) (الحج: 57) (لقمان: 6) (الجاثية: 9) (المجادلة: 5، 16) انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة العذاب المهين مثل: (سبأ: 14) (الدخان: 30)

[40]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب مقيم مثل: (المائدة: 37) (التوبة: 68) (هود: 39) (الزمر: 40) (الشوري: 45)

[41]انظر إلى قول تعالى الذي فيه كلمة عذاب واصب مثل: (الصافات: 9)

[42]ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 1. ص 560

الدار[44]) والعاقبة إطلاقها تختص بالثواب نحو: (والعاقبة للمتقين[45]) وبالإضافة قد يستعمل في العقوبة نحو: (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا)[46] وقوله تعالى: (فكان عاقبتهما أنهما في النار[47]) يصح أن يكون ذلك استعارة من ضده كقوله: (فبشرهم بعذاب أليم[48]) والعقوبة والمعاقبة والعقاب يختص بالعذاب، قال (فحق عقاب[49])، (شديد العقاب[50])، (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به[51])، (ومن عاقب بمثل ما عوقب به[52]) والتعقيب أن يأتي بشيء بعد آخر ، يقال عقب الفرس في عدوه قال : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه[53]) أي ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له.[54]

---

[43] سورة الكهف: 44

[44] سورة الرعد: 22

[45] سورة الأعراف: 128

[46] سورة الروم: 10

[47] سورة الحشر: 17

[48] سورة ال عمران: 21، التوبة: 34، الإنشقاق: 24

[49] سورة ص: 14

[50] سورة (البقرة: 196، 211) (ال عمران: 11) (المائدة: 2، 98) (الأنفال: 13، 25، 48، 52) (غافر: 3، 22) وسورة الحشر: 4، 7

[51] سورة النحل: 126

[52] سورة الحج: 60

[53] سورة الرعد: 11

[54] الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. ص 340

يذكر لفظ العقب فى القرآن ثمانين مرة.[55] لكن ليس كله يقصد به العذاب كما قد ذكر الراغب أن اللفظ الذي يختص بالعذاب هو العقوبة والمعابة والعقاب. والعذاب يسمي بالعقاب لأنه جاء فى آخر فعل.

المطلب الثاني: استعمال لفظ العقاب

والقرآن لا يذكر العقاب إلا لتعظيم قدرة الله فى إعطاء العقوبة من عمل الناس، وفيه تحذير وتنذير لمن فعل بما ذكر فى تلك الآية مثل قوله: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب.[56] قال الزمخسري أن آياته هي أجل نعمة من الله، لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة. وتبديلهم إياها مع أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم، فجعلوها أسباب ضلالتهم.[57] إذن المفهوم من هذه الآية أن الله لا يعذبهم ماداموا لم يبدلوا الهدي بالضلال بل التحذير والتنذير الله لمن يبدله. فالله له القدرة الأكبر أن يأتي العاقبة بما فعلوا. ومثال الآخر فى قوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.[58] وفيها لم يذكر الله مباشرة إلى أنه

---

[55] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 467

[56] سورة البقرة: 211

[57] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 1. ص 261

[58] سورة الأنفال: 13

سيعذب من يشاقق إليه ورسوله بل شدده أنه شديد الجزاء لهم. وقال البيضاوي: أنه تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة.[59]

وكل لفظ العقاب فى القرآن موجّهة إلى من بدّل نعمة الله وإلى من شاقوا الله ورسوله كما قد ذكر سابقا وإلى من كذب[60] وكفر[61] بأيات الله وإلى من كذب الرسول[62].

المبحث الثالث: الرجز

المطلب الأول: معنى الرجز

الرَّجَزُ فى لسان العرب: داء يصيب الإبل في أَعجازها. و الرَّجَز: أَن تضطرب رِجْلُ البعير أَو فَخْذاه إِذا أَراد القيام أَو ثارَ ساعةً ثم تنبسط. و الرَّجَزُ: ارْتعادٌ يصيب البعير والناقة في أَفخاذهما ومؤخرهما عند القيام وقد رَجِزَ رَجَزاً وهو أَرْجَزُ والأُنثى رَجْزاء وقيل: ناقة رَجْزاء ضعيفةُ العَجُزِ إِذا نهضت من مَبْرَكها لم تَسْتَقِلَّ إِلاَّ بعد نَهْضتين أَو ثلاث.

وقال أيضا الرِّجْز: القَذَر مثل الرِّجْس: والرِّجْز: العذاب. والرِّجْز والرُّجْز: عبادة الأَوثان وقيل: هو الشِّرْك ما كان تأْويله أَن مَنْ عبد غير الله تعالى فهو على رَيْب من أَمره

---

[59] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 378

[60] قول تعالى: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (ال عمران: 11)

[61] قول تعالى: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الأنفال: 52)

[62] قول تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (غافر: 5) وقوله: إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (ص:14)

واضطراب من اعتقاده كما قال سبحانه وتعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ[63]) أَي على شك وغير ثقَةٍ ولا مُسْكة ولا طمأْنينة وقوله تعالى: (والرُّجْزَ فاهْجُرْ[64]) قال قوم: هو صنم وهو قول مجاهد. قال أبو إسحاق: قرىء والرِّجْز والرُّجْز بالكسر والضم ومعناهما واحد وهو العمل الذي يُؤدِّي إلى العذاب.[65]

قال الراغب الأصفهاني: أصل الرجز الاضطراب ومنه قيل رجز البعير رجزا فهو أرجز وناقة رجزاء إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها وشبه الرجز به لتقارب أجزائه وتصور رجز في اللسان عند إنشاده ، ويقال لنحوه من الشعر أرجوزة وأراجيز ، ورجز فلان وارتجز إذا عمل ذلك أو أنشد وهو راجز ورجاز ورجازة. وقوله: (عذاب من رجز أليم[66]) فالرجز ههنا كالزلزلة، وقال تعالى: (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء[67]) وقوله: (والرجز فاهجر[68]) قيل هو صنم، وقيل هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل كتسمية الندى شحما. وقوله: (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان[69]) والشيطان عبارة عن الشهوة على ما بين في بابه. وقيل بل أراد برجز الشيطان ما يدعو إليه

---

[63] سورة الحج: 11
[64] سورة المدثر: 5
[65] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 4. ص 46
[66] سورة السباء: 5 وسورة الجاثية: 11
[67] سورة العنكبوت: 34
[68] سورة المدثر: 5
[69] سورة الأنفال: 11

من الكفر والبهتان والفساد. والرجازة كساء يجعل فيه أحجار فيعلق على أحد جانبي الهودج إذا مال، وذلك لما يتصور فيه من حركته ، واضطرابه.[70]

يذكر لفظ الرجز فى القرآن عشرة مرة.[71] وكما أن كل معاني الرجز يرجع إلى معنى اللغوي الذي يتضمن على معنى الأساسي وهو الإضطراب. كما فى قوله: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ.[72] قال المفسرون: أن معنى رجز الشيطان أنه وسوسته إليهم، وتخويفه إياهم من العطش، وهذا ما قال الزمخسري[73] وابن كثير[74] والبيضاوي[75] والطبري[76] وغيرهم. وسمي وسوس الشيطان بالرجز لأنه يجعل قلوب الناس مضطربة بوجود الشك. وسمي العذاب بالرجز[77] لأنه يجعل اضطراب القلوب لخوفه.

المطلب الثاني: استعمال لفظ الرجز

---

[70] الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. 187-188

[71] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 301

[72] سورة الأنفال: 11

[73] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 2. ص 197

[74] فسر ابن كثير بقوله: من وسوسة أو خاطر سيئ، وهو تطهير الباطن. انظر *المرجع السابق*. ج 2. ص 280

[75] انظر البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 377

[76] انظر البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 6. ص 195

[77] فسر الطبري الرجز: سوء العذاب، الأليم الموجع. *انظرالمرجع السابق*. مجلد 10. ص 346

وقص القرآن قصة قوم موسى عندما أصابهم العذاب بوجود الطُّوفَان وَالجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم.[78] قالوا لموسى أن يدعوا إلى ربه أن يكشف ذلك الرجز منهم. إذن الرجز هنا على شكل الرجس والقذر كما ذكر فى لسان العرب سابقا.

بناء على ما سبق، يلخّص الباحث أن الرجز قد يكون فى القلب مثل وسوس الشيطان والخوف وقد يكون فى الجساد مثل الطوفان والضفادع وغير ذلك من الرجس.

المبحث الرابع: البأس

مطلب الأول: معنى البأس

يذكر لسان العرب أن البَأْسُ العذاب والبأْسُ الشدة في الحرب، قيل لا بَأْسَ عليك ولا بَأْسَ أَي لا خوف. وإذا قال الرجل لعدوّه لا بأْس عليك فقد أَمَّنه لأَنه نفى البأْس عنه.[79]

وقال الراغب الأصفهاني: البؤس والبأس والبأساء: الشدة والمكروه، إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النكاية، نحو: (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا[80])، (فأخذناهم بالبأساء والضراء[81])، (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس[82])، وقال

[78] سورة الأعراف: 133

[79] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 4. ص 135

[80] سورة النساء: 84

[81] سورة الأنعام: 42

تعالى: (بأسهم بينهم شديد[83])، وقد بؤس يبؤس، و(عذاب بئيس[84])، فعيل من البأس أو من البؤس، (فلا تبتئس[85])، أي: لا تلزم البؤس ولا تحزن.[86]

وقال ابن قتيبة البأس و البأساء: الشدة، قال اللّه تعالى: (فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ)[87]. والبأس: الشدة بالعذاب، قال اللّه تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا)[88] أي عذابنا. والبأس: الشدّة بالقتال، قال اللّه تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا)[89] و قال تعالى: (نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ)[90]

ذكر لفظ البأس فى القرآن خمس وعشرين مرة على اشكال مختلفة.[91] وقال ابن كثير فى قوله تعالى: (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ[92]) قال ابن عباس وغير واحد: يعني يسلط

---

[82] سورة البقرة: 177

[83] سورة الحشر: 14

[84] سورة الأعراف: 165

[85] سورة هود: 36

[86] الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. ص 66

[87] سورة الأنعام: 42

[88] سورة غافر: 84

[89] سورة النساء: 84

[90] سورة النمل: 33

[91] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 113

[92] سورة الأنعام: 65

بعضكم على بعض بالعذاب والقتل.[93] وايده البيضاوى بقوله أن معناه يقاتل بعضكم بعضاً.[94] وفسر البأس أيضا بنجدة وشجاعة.[95]

قال ابن كثير عند ما فسر قوله تعالى (قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ[96]) عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة.[97] وعنى الطبري البأس العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة.[98] فسر المراغي: أي ليخوّف الذين كفروا به عذابا شديدا صادرا من عنده أي نكالا فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة.[99]

المطلب الثاني: استعمال لفظ البأس

ويتضمن لفظ البأس على معنى القوة الشديدة مثل قوله: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ.[100] وكذلك العذاب يتضمن على القوة للمعذِّب حتي لا يرد عذابه، وأشار إليه قول تعالى: وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ[101] اي لا يرد عذابه لشدّة قوّته.

---

[93] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 2. ص 136

[94] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 305

[95] انظر تفسير البيضاوي سورة النمل: 33

[96] سورة الكهف: 2

[97] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 3. ص 70

[98] الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 8. ص 175

[99] المراغي. *المرجع السابق*. مجلد 5. ص 83

[100] سورة الحديد: 25

[101] سورة الأنعام: 147

واستعمل البأس للتعبير عن العذاب الذي فيه العلاقة بين رجلين، احد منهم أكثر قوة من الأخر

المبحث الخامس: الأخذ

المطلب الأول: معنى الأخذ

قال فى لسان العرب الأخذ هو خلاف العطاء وهو أَيضاً التناول أَخذت الشيء آخُذُه أَخذاً تناولته. فأُخِذَ وآخَذَه بذنبه مُؤاخذة عاقبه.[102]

وقال الراغب: الأخذ حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول نحو: (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده[103]) وتارة بالقهر نحو قوله: (لا تأخذه سنة ولا نوم له[104]) ويقال: أخذته الحمى. وقال تعالى: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة[105])، (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى[106]) وقال (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى[107]) ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ. ويقال فلان مأخوذ، وبه أخذة من الجن. وفلان يأخذ مأخذ فلان، أي يفعل فعله

---

[102] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 2. ص 846

[103] سورة يوسف: 79

[104] سورة البقرة: 255

[105] سورة هود: 67

[106] سورة النازعات: 25

[107] سورة هود: 102

ويسلك مسلكه. ورجل أخذ، وبه أخذ، كناية عن الرمد. والإخاذة والإخاذ أرض يأخذها الرجل لنفسه ، وذهبوا ومن أخذ أخذهم وإخذهم.[108]

فسر ابن كثير فى قوله تعالى ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ.[109] بقوله: فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال.[110]

قال ابن قتيبة: الأخذ أصله باليد، ثم يستعار في مواضع:

فيكون بمعنى: القبول، قال اللّه تعالى: (وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي)[111] أي: قبلتم عهدي. وقال: (وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ)[112] أي: لا يقبل.

ويكون بمعنى: الحبس و الأسر، قال اللّه تعالى: (فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ)[113] أي: احبسه.

والأخذ: التعذيب، قال اللّه تعالى: (وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى)[114] أي: تعذيبه. وقال: (فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ)[115] أي عذبنا.[116]

---

[108] الراغب الأفصهاني. *المرجع السابق*. ص *12-13*

[109] سورة فاطر: 26

[110] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 3. ص 531

[111] سورة آل عمران: 81

[112] سورة البقرة: 48

[113] سورة يوسف: 78

[114] سورة هود: 102

[115] سورة العنكبوت: 40

[116] ابن قتيبة. *تأويل مشكل القرآن*. دار الكتب العلمية. لبنان. 1981. الطبعة الثالثة. ص 502

وأيد في الحديث، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.[117]

المطلب الثاني: استعمال لفظ الأخذ

وفى بعض الآيات كان لفظ الأخذ تتبع إليه الأجناس التفصيلية من العذاب كمثل قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ.[118] ذكر فيه الطوفان فهو عند العرب كما ذكر الطبري: سيلا كان أو غيره، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا، فهو أيضا عندهم طوفان.[119]

وفى قول تعالى: فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.[120] فيها اربعة اجناس وهو: الاول، الحاصب وهذ ما وقع على قوم لُوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجِّيلٍ مَنضُود.[121] والثاني، الصيحة، واختلف العلماء لمن هذا الصيحة؟ قال بعض أنها ثمود وقال الآخرون أنها قوم شعيب. لكن الطبري يقول انها

---

[117] كتاب المرتدين، باب استتابة المرتدين. ج 8. ص 49. البحاري. المرجع السابق.

[118] سورة العنكبوت: 14

[119] الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 10. ص 167

[120] سورة العنكبوت: 40

[121] الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 10. ص 141

كلاهما.[122] والثالث، الخسف وهذا كما وقع فى قارون. والرابع، الغرق، وهذا ما وقع على قوم نوح وفرعون وجنوده.[123]

وفى قوله تعالى الآخر: فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ. وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ. وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ. فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.[124] فيها ذكر عذاب قوم فرعون بغرق فى البحر وعذاب قوم عاد بريح العقيم وعذاب قوم ثمود بصاعقة.

وكذلك فى الآية: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ.[125] فيها ذكر عذاب آل فرعون بالسنين وهو كما قال ابن كثير: سِنِي الجوع بسبب قلة الزروع[126] ونقصان الثمرات.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا.[127] ذكر فيها الرجفة وهي الصاعقة كما قال البيضاوي والطبري.[128]

---

[122] *نفس المرجع*. ص 142

[123] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 2 ص 210

[124] سورة الذاريات: 40-44

[125] سورة الأعراف: 130

[126] انظر ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 2. ص 230. وعند البيضاوي أنه الجدوب لقلة الأمطار والمياه انظر البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 355

وكذلك أن لفظ الأخذ يستعمل فى ذكر عذاب الدنيا والأخرة كقوله: فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى.[129] قال قتادة كما ذكر الطبري أن معناه عقوبة الدنيا والآخرة.[130]

وعندما يستخدم الله لفظ الأخذ فأراد أن يعذب عباده:

1. الكاذبين برسله: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.[131] هذه الآية تتكلم عن تكذيب أصحاب الأيكة[132] بشعيب. وقوله: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ. ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ.[133] وقوله: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً.[134]

---

[127] سورة الأعراف: 155

[128] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 362. الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 6. ص 76

[129] سورة النازعات: 25

[130] انظر تفسير الطبري فى سورة النازعات: 25

[131] سورة الشعراء: 189

[132] قال ابن كثير: أعني أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغَيضة، كانوا يعبدونها. انظر ابن كثير. *المرجع السابق*. مجلد 3. ص 335

[133] سورة فاطر: 25-26

[134] سورة الحاقة: 9-10 وانظر الى سورة (غافر: 22) (الأعراف: 96) (النحل: 113)

2. المتكبرين كما قول تعالى: وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ.[135] فالمراد "من استكبر" هنا هو الإعراض عن تصديق رسالة موسى وعن اتباع دعوته صلوات الله عليه وكما فسره الطبري.[136] وكذلك فى سورة القصص: 39.[137]

3. الظالمين كما ذكر فى قوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ.[138]

المبحث السادس: المحال

المطلب الأول: معنى المحال

المِحْلُ فى لسان العرب الشدّة والمِحْلُ الجوع والمِحال مأْخوذ من قول العرب مَحَل فلان بفلان أَي سَعَى به إِلى السلطان وعَرَّضه لأَمر يُهْلِكه فهو ماحِل ومَحُول والماحِلُ الساعي يقال مَحَلْت بفلان أَمْحَل إِذا سعيت به إِلى ذي سلطان حتى تُوقِعه في وَرْطة ووَشَيْتَ به.[139]

---

[135] سورة العنكبوت: 39

[136] الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 10. ص 140

[137] وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ

[138] سورة الحج: 48

[139] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 6. ص 686

وقال البيضاوي أنه من محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك.[140]

ذكر لفظ المحال مرة واحدة[141] فى قوله: وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ.[142]

قال الطبري: والمحال: مصدر من قول القائل: ما حلت فلانًا فأنا أماحله مماحلةً ومِحَالا وفعلت منه: مَحَلت أمحَلُ مَحْلا إذا عرّض رجلٌ رجلا لما يهلكه.[143]

قال الراغب الأصفهاني: قوله (وهو شديد المحال[144]) أي الأخذ بالعقوبة، قال بعضهم: هو من قولهم محل به محلا ومحالا إذا أراده بسوء.[145]

قال الزمخشري فى تفسير هذه الآية بقوله: والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه ، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون.[146] قال ابن جرير كما نقل ابن كثير: شديدة مماحَلَته في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره. وقال علي، رضي الله عنه أنه شديد الأخذ. وقال مجاهد: شديد القوة.[147]

---

[140]البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 503

[141]محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 662

[142]سورة الرعد: 13

[143]الطبري. *المرجع السابق*. مجلد 7. ص 362

[144]سورة الرعد: 13

[145]الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. ص 464

[146]الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 2. ص 500

[147]ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 2. ص 488

قال المراغي: (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ) أي وهو سبحانه لا يغالب، فهو شديد البطش والكيد لأعدائه، يأتيهم من حيث لا يحتسبون ولا يترقبون.[148]

[148] المراغي. *المرجع السابق*. مجلد 5. ص 83

الفصل الثاني: الألفاظ المتقاربة عن معنى العذاب

المبحث الأول: انتقام

المطلب الأول: معنى الانتقام

قال الراغب: نقمت الشيء ونقمته إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة. قال تعالى: (وما نقموا إلا أن أغناهم الله[149])، (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله[150])، (هل تنقمون منا[151]) الآية، والنقمة العقوبة. قال (فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم[152])، (فانتقمنا من الذين أجرموا[153])، (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين[154]).[155]

انتقام (ذُو انتقام) لا يقدر على مثله منتقم، والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر، وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيماً للأمر، وزجراً عن الإعراض عنه.[156]

---

[149] سورة التوبة: 74

[150] سورة البروج: 8

[151] سورة المائدة: 59

[152] سورة الأعراف: 136

[153] سورة الروم: 147

[154] سورة الزخرف: 25

[155] الراغب الاصفهاني. *المرجع السابق*. ص 504

[156] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 331

وأيّد معنى انتقام ما حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابن شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا.[157]

مطلب الثاني: استعمال لفظ الانتقام

يذكر لفظ الانتقام فى القرآن سبعة عشر مرة على أوزان مختلفة.[158] وأن لفظ الانتقام يستعمل في التعبير عن تعذيب الظالمين. مثل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ.[159] قال الزمخشري لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دلّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه.[160]

واستخدم الله لفظ الانتقام فى عقوبة الأمم السابقة مثل عقوبة فرعون وجنوده فى اليم كما قوله: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ.[161]

---

[157] رواه البخاري في كتاب الحدود في باب اقامة الحدود والانتقام لحرمات الله. أنظر الامام البخاري. صحيح البخاري. دار الكتب العلمية. لبنان. 1992. الجزء الثامن. ص 328

[158] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 717

[159] سورة السجدة: 22

[160] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 2. ص 84

[161] سورة الأعراف: 136

وإذا كان لفظ الانتقام على صيغة فعل فأكثر استعماله للدلالة على أن الانتقام قد وقع: مثل فى الآية السابقة. وأما إذا كان بصيغة إسم فهو التحذير بنقمة الله.

المبحث الثاني: الهلاك

المطلب الأول: معنى الهلاك

وقال الراغب الأصفهاني أن الهلاك فى القرآن له معان:

1. افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى: (هلك عني سلطانيه[162]) وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله: (ويهلك الحرث والنسل[163]) ويقال هلك الطعام.
2. الموت كقوله (إن امرؤ هلك[164]) وقال تعالى مخبرا عن الكفار (وما يهلكنا إلا الدهر[165]) ولم يذكر الله الموت بلفظ الهلاك حيث لم يقصد الذم إلا في هذا الموضع وفي قوله: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا[166]

---

[162] سورة الأنفال: 42

[163] سورة البقرة: 205

[164] سورة النساء: 176. كذلك ما فسر ابن كثير والبيضاوي فى قول تعالى (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ[164]) أي مات. انظر ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 1. ص 561. وانظر البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 251

[165] سورة الجاثية: 24

[166] سورة غافر: 34

3. بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا وذلك المسمى فناء المشار إليه بقوله (كل شيء هالك إلا وجهه[167])

4. العذاب والخوف والفقر الهلاك وعلى هذا قوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون[168])، (وكم أهلكنا قبلهم من قرن[169])، (وكم من قرية أهلكناها[170])، (فكأين من قرية أهلكناها[171])، (أفتهلكنا بما فعل المبطلون[172])، (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا[173]). وقوله: (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[174])

وقال: الهلك بالضم الإهلاك، والتهلكة ما يؤدي إلى الهلاك، قال تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة[175]).[176]

المطلب الثاني: استعمال لفظ الهلاك

---

[167] سورة القصص: 88

[168] سورة الأنعام: 26

[169] سورة الإسراء: 17

[170] سورة الأعراف: 4

[171] سورة الحج: 45

[172] سورة الأعراف: 173

[173] سورة الأعراف: 155

[174] سورة الأحقاف: 35

[175] سورة البقرة: 195. وفسر أيضا الزمخشري أن التهلكة والهلاك والهلك واحد انظر الزمخسري. *المرجع السابق*. ج 1. ص 235

[176] الراغب الاصفهاني. *المرجع السابق*. ص 544-545

جاء لفظ هلاك من هلك، يذكر فى القرآن ثمانية وستين مرة على اوزان مختلفة.[177]

اذا كان لفظ الهلك بصيغة الماضي فأكثر استعماله للدلالة على تعذيب الامم السابقة كما فى قصص قارون: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ.[178]

وقوله تعالى: وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى. وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى.[179] وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.[180] والاية الأخري.[181]

---

[177] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 737

[178] سورة القصص: 78

[179] سورة النجم: 50-52

[180] سورة الأعراف: 155

[181] انظر الى (سورة الأنعام: 6) (الأعراف: 4) (الأنفال: 54) (يونس: 13) (الإسراء: 17) (الأنبياء: 6، 95) (مريم: 74، 98) (طه: 128، 134) (الشعراء: 208، 139) (القصص: 43، 58) (السجدة: 26) (يس: 31) (ص: 3) (الأحقاف: 27) (ق: 36) (القمر: 52) (الحج: 45) (الكهف: 60) (الدخان: 37) (محمد: 13)

أما إذا كان لفظ الهلاك على صيغة فعل مضارع فاكثر استعماله للدلالة على معنى إمكانية وجود الهلاك بسسب ما ذكر قبله أو بعده كقوله: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا.[182]

قال الزمخشري فى تفسيره عن هذه الآية بقوله: (وَإِذَا أَرَدْنَا) وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرناهم (فَفَسَقُواْ) أي أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز: لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه.[183] إذن أن الله سيهلك الفاسقين.

وكذلك مثل قول تعالى: قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ.[184] و قال البيضاوي فى قوله تعالى (لا يهلك إلا الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه.[185]

ومن خلال الآيات المذكورة أن لفظ الهلاك اكثر استعماله للدلالة على العذاب فى الدنيا لأن أكثر استعماله للذكر على الأمم السابقة التي قد وقع عذابها.

---

[182] سورة الإسراء: 16

[183] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 2. ص 23

[184] سورة الأنعام: 47

[185] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 1. ص 301

المبحث الثالث: بطش

المطلب الأول: معنى البطش

البَطْش فى لسان العرب: التناول بشدة عند الصَّوْلة والأَخذُ الشديدُ في كل شيء.[186] وكذلك ما قاله الرغب: البطش تناول الشيء بصولة، قال تعالى: (وإذا بطشتم بطشتم جبارين[187])، (يوم نبطش البطشة الكبرى[188])، (ولقد أنذرهم بطشتنا[189])، (إن بطش ربك لشديد[190]) يقال يد باطشة.[191]

وذكر لفظ البطش عشرة مرات.[192] وقال الزمخشري البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام.[193] وقال البيضاوي فإن البطش أخذ بعنف.[194]

المطلب الثاني: استعمال لفظ البطش

إن اكثر استعمال لفظ بطش في القرآن للدلالة على معنيين:

---

[186] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 4. ص 359

[187] سورة الشعراء: 130

[188] سورة الدخان: 16

[189] سورة القمر: 36

[190] سورة البروج: 12

[191] الراغب الأصفهاني. *المرجع السابق*. ص 50

[192] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 132

[193] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 4. ص 719

[194] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 2. ص 575

1. في تصوير عادة من قوم عاد (قوم هود عليه السلام) الذي رغب أن يعذّب المرء بعذاب شديد عنف، وهو قول تعالى وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ.[195] قال الزمخشري بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً.[196]

2. ذكر إثم وتحذير لأمم اللاحقة. مثل قوله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ. فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ. أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ. ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ. إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ. يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ.[197]

ذكرت هتان الآيتان إنكار المشركين رسلهم فأرسل الله لهم العذاب بدخان مبين.

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ. إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ.[198] وهذه الآية تتكلم عن الذي يستهزؤ المؤمنين والمؤمنات أي يعذب.

---

[195] سورة الشعراء: 130

[196] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 3. ص 316

[197] سورة الدخان: 8-16

[198] سورة البروج: 10-12

وقد يكون البطش بمعنى الأخذ بصولة وسطوة. مثل فى قول تعالى: فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ.[199] وكذلك فى قوله: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ.[200]

وقد يكون البطش للدلالة على القوة كما فى قول تعالى: فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ.[201] وقوله: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ.[202] ونستخلس أن البطش العذاب العنف.

المبحث الرابع: دمدم

المطلب الأول: معنى الدمدم

جاء لفظ دمدم من لفط دمّ على وزن فَعْفَلَ، وفى لسان العرب معناه التعذيب، يقال دمَّ الرجل فلاناً إذا عَذَّبه عذاباً تامّاً ودَمْدَمَ إذا عذب عذاباً نامًّا والدَّيْمومةُ المفازة لا ماء بها، ودَمْدَمَ عليهم وفي التنزيل العزيز فدَمْدَمَ عليهم رَبُّهُمْ بذَنْبهم أي أَهلكهم. قال دَمْدَمَ

[199] سورة القصص: 19
[200] سورة الأعراف: 194-195
[201] سورة الزخرف: 8
[202] سورة ق: 36

أَرْجَفَ وقال ابن الأنباري دَمْدَمَ أي غَضِب وتَدَمْدَمَ الجرحُ برأَ، الدَّمْدَمَةُ الغَضَب ودَمْدَمَ عليه كَلَّمَه مُغْضَباً قال وتكون الدَّمْدَمَةُ الكلام الذي يُزْعج الرجلَ إلاَّ أن أكثر المفسرين قالوا في دَمْدَمَ عليهم أي أَرْجَفَ الأرضَ بهم وقال أَبو إسحق معنى دَمْدَمَ عليهم أي أَطبق عليهم العذاب.[203]

قال الراغب: دمدم (فدمدم عليهم ربهم[204])، أي أهلكهم وأزعجهم ، وقيل الدمدمة حكاية صوت الهرة ومنه دمدم فلان في كلامه.[205] قال الزمخشري أن فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ معناه أطلق عليهم العذاب.[206]

قال الطبري أنه: فدمَّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحا، وعقرهم ناقته. وأيد الحافظ ابن كثير أنه: غضب عليهم، فدمر عليهم.[207] وعند البيضاوي أنه أطبق عليهم العذاب[208]

ذكر البغوي قول عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. وقول المؤرِّج: الدمدمة إهلاك باستئصال. (بِذَنْبِهِمْ) بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة، (فَسَوَّاهَا) فسوَّى الدمدمة

---

[203] ابن منظور. *المرجع السابق*. ج 7. ص 188

[204] سورة الشمس: 14

[205] الراغب الأصفهاني. *المرجع االسابق*. ص 171

[206] الزمخشري. *المرجع السابق*. ج 4. ص 749

[207] ابن كثير. *المرجع السابق*. ج 4. ص 517

[208] البيضاوي. *المرجع السابق*. مجلد 2. ص 600

عليهم جميعًا، وعمهم بها فلم يَفْلِتَ منهم أحد. وقال الفرَّاء: سوَّى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوَّى بينهم.[209]

المطلب الثاني: استعمال لفظ الدمدم

ذكر هذا اللفظ مرة واحدة.[210] (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (الشمس: 14)

هذه الآيه تتكلم عن موقف قوم صالح عليه السلام الذين يكذبون رسولهم وقتل ناقة الله التى أرسلها إلى صالح كمعجزته فدمدم الله عليهم. اذن الدمدمة هو العذاب الاستئصال لأن تابع لفظ فسوّاها في آخير الآية.

[209] البغوي. *تفسير البغوي المسمي معالم التنزيل*. دار الكتب العلمية. لبنان. 1993. ج 4. ص 461

[210] محمد فؤاد عبد الباقي. *المرجع السابق*. ص 261